بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# الدرس الأول

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألَّا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد،

فإنّ بين يدينا كتاب مبارك ومؤلف قيم للإمام الحافظ الذهبي رحمه الله في موضوع **الكبائر**، والذي ينبغي على كل مسلم وليس فقط من هو معتنٍ بطلب العلم أن يعرف الكبائر التي أمره الله تَبَارَكَ وَتَعَالى باجتنابها ونهاه عن قربانها في غير ما آيةٍ من كتاب الله عز وجل، كذلك نبيُّه ﷺ في سنَّته، وهـٰذا الاجتناب للكبائر لا يكون إلا بعد العلم بها، فالأمر كما قال بعض السَّلف: **كيف يتقي من لا يدري ما يتقي**. كيف يتقي الكبائر ويجتنبها من لا يدري ما هي، ولا يعرف خطورتها، ولا يعرف ما جاء في نصوص الكتاب والسنة من الوعيد الشديد عليها وعلى فعلها.

ولهـٰذا كان متأكدا على كلِّ مسلم أن يعرف الكبائر، وأن تكون نيَّته في هـٰذه المعرفة اجتنابها والبعد عنها؛ كما قيل:

**عَـرَفْـتُ الشَّـرَّ لا لِلـشَّـرْ ... رِ لـٰكِـنْ لِـتَـوَقِّـيـهِ**

**وَمَـنْ لا يَعْـرِفِ الـشَّـرَّ ... مِـنَ النَّـاسِ يَـقَـعْ فِـيـهِ**

فيعرف المحرمات ويعرف الآثام، ويعرف هـٰذه الأمور التي تُسخط الله تَبَارَكَ وَتَعَالى وتغضبه بنية اجتنابها والبعد عنها، والحذر من الوقوع فيها.

ولَمَّا كان هـٰذا المقام مقامًا عظيمًا وجانبا مهما من جوانب الدِّين؛ لأن الدين قائم على فعل المأمور وترك المحظور، وهـٰذه حقيقة تقوى الله جل وعلا: **العمل بطاعة الله على نورٍ من الله رجاء ثواب الله، وترك معصية الله على نورٍ من الله خيفة عذاب الله**.

وهـٰذا التوقي والاجتناب والترك لا يكون إلا بالعلم أولا، ولهـٰذا قيل في تعريف التقوى: (العمل بطاعة الله على **نورٍ من الله** وترك معصية الله على **نور من الله**) والمراد بالنور العلم الذي يميز به المسلم بين الحق

والباطل، والهدى والضلال، والسنة والبدعة، كل ذلك لا يتحقق للمرء معرفته إلا بالعلم؛ العلم النافع المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

وقد اعتنى أهل العلم بهٰذا الباب عنايةً فائقة، وكتبوا فيه قديمًا وحديثًا مؤلفات كبيرة، فكم ألف في هٰذا الموضوع من مؤلفات بهٰذا العنوان «**الكبائر**»، وأُخلصت تلك المؤلفات لعد الكبائر الكبيرة الأولى الكبيرة الثانية الثالثة، أخلصت لعدها فلماذا هٰذا الجمع للكبائر وتتبع أدلتها وسردها في موضع واحد وفي مؤلف واحد؟

فالغَرض من هٰذه المصنَّفات تعريف المسلمين، وتعريف الناس بكبائر الذنوب والموبقات المهلكات حتى يكون الناس على حذرٍ منها، وعلى بعدٍ من الوقوع فيها.

وهٰذا الكتاب الذي هو كتاب الكبائر للذَّهبي هو من أحسن ما أُلِّف في هٰذا الباب، ففيه جمعٌ مبارك وتحريرٌ متقن وانتقاء للأدلة من كتاب الله وسنَّة نبيه ﷺ مع تعليقاتٍ نافعة للغاية من مصنِّفه رحمه الله.

ويوجد في الساحة كتابان بهٰذا العنوان «**الكبائر للذهبي**» أحدهما أكبر حجما من هٰذا الكتاب الذي بين أيدينا وأوسع مادة علمية من هٰذا الكتاب، ففيه سعة في ذكر النصوص والأدلة، وإن كان أقل عددا في ذكر الكبائر حيث فيه سبعين كبيرة، وهٰذا الذي بين أيدينا فيه ست وسبعون كبيرة.

والكتاب الأول من يطالعه ويتأمله -الذي هو الكبير- قد يقع في نفسه شكٌّ من صحة نسبته للإمام الذهبي رحمه الله؛ لأنَّ للإمام الذهبي منهجٌ معروف في الروايات ونقدها والتنبيه على ما لم يصح منها، ولاسيَّما الموضوعات والواهيات، وذاك الكتاب فيه كثيرٌ من الأحاديث الموضوعة والأحاديث الواهية التي سيقت في الكتاب بلا تنبيه، مما هو مخالفٌ للطريقة التي عليها هٰذا الإمام، بخلاف هٰذا الذي بين أيدينا فإنه سليم من هٰذا وفيه نفس الذهبي المعروف رحمه الله في مؤلفاته.

ولهٰذا بعضهم قال: لعل الكتاب الأول جمعه الذَّهبي كمسوَّدة للباب، ثم بعد انتهائه منه كتب هٰذا الكتاب.

وآخرون -ولعله هو الأقرب- يشكِّكون في صحة نسبة هٰذا الكتاب أصلًا للذهبي، ويقال: لعله وجدت نسخة خطية ومشهور عن الذهبي أن له كتاب في الكبائر فنسبت إليه.

وعلى كلِّ حال المعتمد هو هٰذه النسخة المختصرة المشتمِلة على ستٍّ وسبعين كبيرة، وليس فيها ما في ذلك الكتاب من الأخبار الواهية والأحاديث الموضوعة وقد يكون في بعضها في سنده مقال ينبه عليه رحمه

الله كما هي عادته في مصنفاته.

ونبدأ الآن بالقراءة في هـٰذا الكتاب، ومدَّة الدورة ستة أيام بعد صلاة الفجر والكتاب حجمه كبير؛ لكن نسأل الله جل وعلا أن ييسِّر لنا إتمامه، وأن يوفِّقنا للعلم بهـٰذه الكبائر بنية صالحة وقصدٍ مبارك، وأن يجعل ما نقرؤه ونتعلَّمه حجةً لنا لا علينا، وأن يجنِّبنا ما يُسخطه ﷻ وأن يوفِّقنا لكل خيرٍ وعمل صالح يحبه ويرضاه.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم. [رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِن.]

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ النَّاقد الْحَافِظُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدُ بنُ عُثْمانُ بنُ قَايْماز الذَّهَبِيُّ [غَفَرَ اللهُ لَهُ]:

الْحَمْدُ لله عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَمَلائِكَتِهِ وَأَقْدَارِهِ، وَصَلَّى اللهُ عَلى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَنْصَارِهِ صَلاةً دَائِمَةً تُحِلُّنَا دَارَ الْقَرَارِ فِي جِوَارِهِ.

---

عادة في الاستهلال وفي الغالب أن يكون في الاستهلال نكتة بديعة، وقد يسمى مثل هـٰذا الاستهلال ببراعة الاستهلال إذا كان فيه لفتٌ لمعنى عظيم يتعلق بالموضوع الذي ألّف المصنف لأجله، أو إذا كان الاستهلال عنوانا للمصنَّف بحيث إذا قرأت استهلال المصنف عرفت موضوع مصنفه بالاستهلال.

وهنا الذهبي رحمه الله استهل هـٰذا الكتاب بهـٰذا الحمد؛ حمد الله عز وجل على نعمة الإيمان، والله عز وجل يُحمد على أسمائه الحُسنى وصفاته العظيمة، ويُحمد على نعمه العظيمة ومننه على عباده التي أجلُّها وأعظمها وأكبرها قدرًا نعمة الإيمان.

والإيمان منَّةُ الله جل وعلا على عباده المؤمنين ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾ [الحجرات]، وقال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات:١٧]، فالإيمان مِنَّة الله، وهو أعظم منن الله تَبَارَكَ وَتَعَالى على عباده المؤمنين.

فاستهلَّ الإمام الذهبي رحمه الله هـٰذا الكتاب المبارك -كتاب الكبائر- بحمد الله على نعمة الإيمان: الإيمان بالله وبكتبه ورسله وملائكته وأقداره، مشيرًا بهـٰذا الحمد إلى أنَّ تحقيق هـٰذا الإيمان على الوجه الصحيح المطلوب يدفع عن العبد غشيان هـٰذه الكبائر، بينما إذا ضعُف إيمان العبد في قلبه مالت نفسُه إلى الكبائر، أما إذا آمن بالله وعرفه، وآمن باليوم الآخر وحقَّق الإيمان به، وآمن بالكتب وما جاء فيها وحقق الإيمان وآمن بالرسل وكمال دعوتهم والخير الذي في دعوتهم، إذا حقَّق هـٰذا الإيمان في قلبه وملأ قلبَه بهـٰذا الإيمان كان في بعدٍ كبير ومجانبة عظيمة للكبائر.

فإذن هنا الذهبي رحمه الله يحمد الله على هـٰذه النِّعمة العظيمة، وينبِّه من يقرأ الكبائر ويعرفها إلى أهمِّ أمر وأعظم أمر في تحقيق الاجتناب بأن يحقِّق العبد الإيمان بالله ﷻ وبكل ما أمر ﷻ عبادَه بالإيمان به من الإيمان بكُتبه والإيمان برسله والإيمان بأقداره وبالإيمان بملائكته والإيمان باليوم الآخر.

ولو أنك تتبّعت أثر الإيمان بهـٰذه الأصول الستة تفصيلا على تحقيق اجتناب الكبائر لوجدت بابا واسعا

وعظيما من الفقه في هـٰذا الباب، **معرفتُك لله وإيمانك به، وإيمانك بالملائكة**؛ الملائكة الكاتبين والملائكة الذين يتعاقبون، وكتابة الأعمال، **إيمانُك بالكتب** وتفاصيل الهداية التي وردت فيها، **إيمانك بالرسل** ودعوتهم أممهم إلى كل خير، «**ما بعث الله من نبيٍّ إلا كان حقا عليه أن يدل أمته إلى خير ما يعلمه لهم، ويحذِّرهم من شر ما يعلمه لهم**»، **إيمانك باليوم الآخر** وأنه دار الجزاء والحساب ولقيا رب العالمين، واليوم الذي يجد فيه الإنسان ما قدم في هـٰذه الحياة حاضرا، ما يذكره الإنسان من ذلك وما نساه ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾ [المجادلة:٦]، فهـٰذا الإيمان الذي استهلَّ به الذهبي رحمه الله مصنَّفه هو الذي تتحقق به سعادة العبد وإقباله على طاعة الله ﷻ وبُعده عن كلِّ ما يُسخطه جل وعلا ويأباه.

هٰذا كِتَابٌ نَافِعٌ فِي مَعْرِفَةِ الْكَبَائِرِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا، رَزَقَنَا اللهُ اجْتِنَابَهَا بِرَحْمَتِهِ.

---

ثم ذكر هنا ما هو موضع الكتاب فقال: (هـٰذا كِتَابٌ نَافِعٌ فِي مَعْرِفَةِ الْكَبَائِرِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا) (إِجْمَالًا) بالمقدِّمة التي أورد فيها الأدلة من القرآن والسنة على اجتناب الكبائر والتحذير منها، وبيان أن من الذنوب كبائر وصغائر، وبيان حد الكبيرة وضابطها الذي به تعرف، (وَتَفْصِيلًا) بعدّ الكبائر وسردها وذكر الأدلة على كل واحدة منها.

فـ(هـٰذا كِتَابٌ نَافِعٌ فِي مَعْرِفَةِ الْكَبَائِرِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا، رَزَقَنَا اللهُ اجْتِنَابَهَا بِرَحْمَتِهِ.) (رَزَقَنَا اللهُ اجْتِنَابَهَا بِرَحْمَتِهِ) هنا أيضا فائدة في موضوع اجتناب الكبائر إضافة إلى علم العبد بها وبخطورتها هو بحاجة ماسة إلى عون الله له على تركها واجتنابها، وإلَّا قد يكون الإنسان على علم بالكبيرة وعلى علم بخطورتها؛ ولكن نفْسَه أو شيطان أو قرناء السوء قد ينجر إلى كبيرة أو أكثر مع علمه بها وعلمه ببعض أدلتها وبخطورتها؛ لكنه ينزلق.

ولهـٰذا ينبغي على العبد أن يجمع مع العلم طلب العون دائما وأبدا من الله ﷻ أن يرزقه التوفيق وأن يجنّبه الأمور التي تسخط الله جل علا.

ولهـٰذا شُرع للمسلم في كل مرة أن يخرج من بيته أن يقول: اللَّهُمَّ أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل علي.

ولهـٰذا من المناسب جدًّا لنا أجمعين -وقد منَّ الله ﷻ علينا بالاجتماع لمدارسة هـٰذه الكبائر وقراءتها- أن نسأل الله جل وعلا أن يجعل هـٰذا الاجتماع موجبًا لرضاه وأن يكون عونا ﷻ على البُعد عنها واجتنابها إلى أن نلقاه ﷻ وهو راضٍ عنا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء]، فَقَد تَكَفَّلَ اللهُ سبحانه وتَعَالى بِهٰذَا النَّصِ لِمَنْ اجْتَنَبَ الْكَبَائِرِ بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجُنَّة.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ [النجم:٣٢].

---

هـٰذه ثلاث آيات من القرآن الكريم في اجتناب الكبائر، وكلها جاءت بهـٰذا اللفظ -لفظ الاجتناب- وكذلك هـٰذا اللفظ جاء في السنة «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، والأمر بالاجتناب أبلغ من الأمر بالترك أو النهي عن الفعل؛ لأنَّ الاجتناب ينتظم ترك الكبيرة والبُعد عنها.

ومثله النهي عن القربان أبلغ عن النهي عن الفعل أو الأمر بالترك؛ لأنَّ فيه ترك هـٰذا المنهي والبعد عنه.

فهـٰذه الآيات التي فيها الدعوة إلى اجتناب الكبائر مشتملة على أمرين:

على ترك غشيان الكبائر وفعلها.

والأمر الثاني البعد عنها بأن يكون العبد في جانب بعد عنها؛ بأن يغلق النوافذ والأسباب والسبل التي تفضي به إلى الكبائر وتجره في الوقوع فيها، فلا يفعلها ولا يحوم حول حماها، ولا يكون قريبا منها؛ بل يكون في جانب بعيد.

فهـٰذا معنى الأمر باجتناب الكبائر بأن يكون العبد بعيدا عنها بعيدا عن أماكنها، بعيدا عمن يدعوه إليها، بعيدا عن الوسائل التي تحركها في القلب، وقد كثرت في زماننا من القنوات السيئة والمواقع الخبيثة في شبكة الأنترنت والمجلات الهابطة وغير ذلك، فتنوَّعت الوسائل.

فعدم النظر إلى هـٰذه الأشياء وعدم سماعها داخلٌ في الاجتناب، وهو جزءٌ من الاجتناب، فليس الأمر بالترك فقط؛ بل الأمر فيما يتعلق بالكبائر هو أمر بالاجتناب بمعنى ألَّا يقارف الكبيرة ولا يفعلها ولا يفعل أيضا أي أمر يُفضي به إلى الكبيرة والوقوع فيها.

ذكر المصنف رحمه الله ثلاث آيات من القرآن الكريم في اجتناب الكبائر:

الآية الأولى من سورة النساء ذكر الله فيها گ أنَّ اجتناب العبد للكبائر يترتَّب عليه تكفير السيئات والمدخل الكريم وهو الجنّة، فهـٰذه ثمرة، ثمرة اجتناب الكبائر تكفير السيئات؛ يعني ما وقع فيه العبد من السيئات ومن الذنوب ومن اللمم فتكفَّر عنه سيئاته باجتنابه للكبائر، ويكون هـٰذا الاجتناب سببا لدخول الجنة.

والجنة تدخل برحمة الله ﷻ بالإيمان والأعمال الصالحة، وعليه فهـٰذه الآية فيها فائدة عظمة ألَا وهي أن اجتناب الكبائر يعدّ عملا صالحًا يحبه الله ويرضاه من عبده، فالترك عمل ومن الأدلة على أن الترك عمل قول النبي ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**» فعدَّ الترك عملا صالحًا يُتقرب به إلى الله جل وعلا، فكما أن المرء يتقرَّب إلى الله ﷻ بفعل الفرائض والرغائب والمستحبات، فإنه كذلك يتقرب إلى الله ﷻ بترك المحرَّمات والبُعد عن المكروهات، وهـٰذه طاعة الله، طاعة الله ﷻ وتقواه بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه وزجر، فالطاعة تتناول الأمرين، كما أن معصية الله ﷻ تتناول أمرين؛ ترك المأمور وفعل المحظور.

ترك المأمور هو الذنب الذي عصى به إبليس ربَّه، أمره بالسجود فاستكبر وأبى.

وفِعل المحظور هو الذنب الذي عصى به آدم ربَّه، نهاه عن الأكل من الشجرة ومنعه من الأكل منها فعل المحظور فعل ما نهاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالى عنه.

فالمعصية تكون بهـٰذا وبهـٰذا، بترك المأمور؛ ترك الأوامر، ترك ما أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالى عباده به، وتكون بفعل المحظور أي فعل ما نهى الله تَبَارَكَ وَتَعَالى عنه، وطاعة الله جل وعلا تكون بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه وزجر.

ثم الآية الثانية هي في بيان وصف عباد الله المؤمنين الكُمّل حيث ذكر في أوصافهم (﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾ [الشورى]) وهـٰذه الآية فيها فائدة أن اجتناب الكبائر يكون به كمال الإيمان الواجب، والكمال في الإيمان كمالان: كمال واجب وكمال مستحب، واجتناب الكبائر يكون به كمال الإيمان الواجب، وفعلها والوقوع يكون به نقص الإيمان.

ولهـٰذا من يفعل الكبيرة يرتفع عنه الإيمان المطلق، ولا يكون بفعله للكبيرة مرتفعًا عنه مطلق الإيمان، بمعنى أنه كان بذلك كافرا؛ بل يرتفع عنه الإيمان المطلق التام الكامل الواجب على العباد، وهـٰذا جاء في الحديث الصحيح في «الصحيحين» وغيرها من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**»، فأفاد هـٰذا الحديث ارتفاع الإيمان - المطلق، أي: التام الكامل- فلم يكن بارتكابه بهـٰذه الكبائر من أهل الإيمان المطلق الذي هو الإيمان الكامل الواجب، ولا يكون أيضا في الوقت نفسه كافرا؛ لأن هـٰذه الكبائر لا يكون فِعلها مخرجا من الدِّين ناقلا من الملَّة؛ بل فاعلها يكون ناقص الإيمان، ضعيف الإيمان، رقيق الدِّين، وقد يتمادى أمره بها ويستفحل شأنه معها

إلى أن ينتقل من الدِّين بفعل الأمور المكفرة، وهـٰذه هي خطوات الشيطان وتدرجه في الإنسان خطوة خطوة حتى يجعله من أبعد ما يكون من دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالى.

فإذن هـٰذه الآية الثانية فيها فائدة عظيمة في موضوع اجتناب الكبائر ألا وهي أنَّ فيها دليلًا على أن اجتناب الكبائر فيه تحقيقٌ للإيمان التَّام الكامل الواجب، وأنَّ فعلها وارتكابها يُخرج العبد من الإيمان المُطلق، الإيمان الكامل، الإيمان الواجب؛ فيكون بذلك مؤمنا ناقص الإيمان، وهكذا قول النبي ﷺ: «**لا زني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» أي وهو مؤمن كامل الإيمان؛ بل يكون بهـٰذه الكبيرة مؤمنا ناقص الإيمان، مؤمنا ضعيف الإيمان، وهـٰذا المعنى ورد في قول النبي ﷺ: «**إذا زنى العبد ارتفع عنه الإيمان وكان عليه كالظلة**» والظلة ملازمة لصاحبها، وهـٰذا فيه إشارة إلى الأمرين أنه خرج من الإيمان الكامل ولم يخرج من الدِّين مطلقا؛ لأن ظُلّة الشيء معه وملازمة له، فلا يكون بارتكابه للكبيرة مؤمنا الإيمان الواجب؛ بل يكون مؤمنًا ضعيف الإيمان.

أيضًا نستفيد من هـٰذه الآية ونظائرها ومن الحديث الذي أشرتُ إليه فائدة عظيمة جدًّا تتعلق بحد الإيمان وتعريفه عند أهل السنة والجماعة.

والفائدة التي نستفيدها هنا أن اجتناب الكبائر داخل في مسمى الإيمان، فكما أن الإيمان يتناول عقائد الدِّين ويتناول الأقوال الصّالحة والكلمات الزَّاكية التي يحبُّها الله ﷻ من عبده، ويتناول الأعمال الصالحة التي يُتقرّب بها إلى الله جل وعلا، فهو في الوقت نفسه يتناول ترك المحرمات، وعندما قال السلف رحمهم الله: الإيمان قول واعتقاد وعمل. يدخل تحت قولهم: (وعمل) ترك الحرام؛ لأن ترك الحرام عمل صالح يحبُّه الله ﷻ من عبده ويرضاه.

ثم الآية الثالثة (﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ [النجم: ٣٢]) أفادت هـٰذه الآية ثمرة عظيمة من ثمار اجتناب الكبائر وهي نيل مغفرة الله ﷻ، ولهـٰذا ختمت الآية بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ وأهل العلم ذكروا قاعدة ومنهم العلامة ابن القيم في بعض كتبه والعلامة ابن سعدي في «القواعد الحسان» تتعلق بالآيات القرآنية المختومة بأسماء الله وصفاته، فثمة قاعدة في هـٰذا الباب ذكرها أهل العلم وهي أن كل آية خُتمت باسم من أسماء الله أو أكثر لذلك الاسم تعلق وارتباط بالمعنى المذكور في الآية.

والآية هنا في اجتناب الكبائر وختم الآية بذكر أن الله جل وعلا واسع المغفرة، والارتباط هنا بين موضوع الآية وخاتمتها أن مجتنب الكبائر له الحظ الوافر والنصيب العظيم من مغفرة الله جل وعلا.

ثم في هـٰذه الآيات الثلاث التي أوردها المصنِّف دلالة واضحة على أن الذنوب تنقسم إلى قسمين: كبائر وصغائر. وسيأتي عند المصنِّف رحمه الله الضَّابط الذي يميَّز به بين الصغيرة والكبيرة.

والآية الثالثة من هـٰذه الآيات فيها زيادة وضوح في الدلالة على هـٰذا التقسيم، قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ قال أكثر المفسرون: إلا الصغائر، ﴿ٱللَّمَمَۚ﴾ يعني: إلا الذنوب التي لا تصل إلى درجة أو إلى حدِّ الكبيرة.

ثم الآيتين الأخيرتين ذُكرت الكبائر والفواحش، والفاحشة هو أمرٌ يخالط الكبيرة فتصبح إضافة إلى كونها كبيرة فيها فُحش؛ يعني إضافة إلى كونها كبيرة ينضمُّ إليها ها الفحش الشناعة العظيمة في الأمر، فالفُحش هو أمرٌ يخالط الكبيرة فتزداد بمقاربته فحشًا وشناعةً وفضاعةً إلى شناعتها وفضاعتها.

يعني مثلا لو أنَّ إنسانا شرب الخمر، فهو ارتكب كبيرة، فلو شربه في نهار رمضان صار إضافة إلى كونه كبيرة فحشا. الزنى كبيرة لو زنى إنسان والعياذ بالله بمحارمه، إضافة إلى كونه كبيرة فحشا، وهكذا قد يخالط الكبيرة أمر من الأمور فينضاف إلى كونها كبيرة ينضاف إليها الفحش.

[والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين]